سورة المزمل

obeikandl.com

﴿سورة المزمل﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾

أى يا أيها المتلفع بالحقائق الإلهية، والأسرار الربانية، فحدث لك الإستعداد التام لأن تقوم الليل، وتتحمل تجلياته وتتلقاها، والكلام قادم كما سيأتى.

﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾

صيغة الأمر هنا خاصة به ﷺ وحده، وإنما بُدأ الأمر به هو خاصة ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ لكونه القطب الاكبر، المتلقى لتجليات الليل والفجر، وإنما لم يشترك معه غيره فى بدايات السورتين فى الخطاب لكون غيره لا يتحمل معه الخطاب، ولا يتحمل معه قوة التجلى مثله ﷺ.

﴿ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾

اعلم أن هذا كله تخيير له ﷺ بأى صورة وردت سواء:

قام الليل إلا قليلاً .

أو قام نصفه.

أو أقل من النصف.

أو زاد على النصف، كمن صلى الفجر والضحى بوضوء العشاء.

فهؤلاء لهم دليل من الكتاب وهو قوله تعالى: ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ .

فهولاء واصلوا الأوقات الخمس كلها ببعضها البعض، فقاموها وقطعوها وقتاً واحداً بلا نوم، فهؤلاء المشار إليهم فى الآية بأنهم زادوا على الليل، ولم يكذب من قال بأن العارف الفلانى كان ورده ألف ركعة كل يوم.

وإنما ورد التخيير له هنا ﷺ فى التخيير والنقص والنصف واقل من النصف، لكون مثقال الذرة من عمله ﷺ تعدل عمل الثقلين من آدم حتى قيام الساعة فافهم توجه الخطاب .

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝٥ ﴾

لا يتحمله غيرك، وتتحمله أنت، وهو قوة الوارد الليلى القرآنى، الناشئ عن التلاوة بالليل، الذى لا يتحمله سوى جبل قطب قد أشير إليه .

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝٦ ﴾

أى أن تجليات الليل هى أشد وطأ على ذاتك من التجليات النهارية، لما ورد من التنزل الإلهى فى الثلث الأخير من الليل، ما لم يرد به النص فى وقت آخر غيره .

﴿ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ۝٧ ﴾

أى إن لك فى النهار وقتاً طويلاً لأن يرتاح هيكلك من هذه التجليات والأنوار الحارقة الشاقة .

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ۝٨ ﴾

أى اهجرهم هجراً يليق بك وبصفة جمالك وجلالك وكمالك .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ

﴿ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴿٢٠﴾ ﴾

والطائفة الذين هم معه هم خواص الأمة وخواص الخواص .

وإنما ضمهم سبحانه إليه ﷺ لكونهم ورثته، فهم مكلفون مثله بقيام الليل، وهى إراثة محمدية لهم، اختصوا بها .

﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٢٠﴾ ﴾

أى أنه سبحانه يقدر ويختص من يقوم الليل ؟ ومتى يقوم ؟ وكيف يقوم ؟ فهو فضل إلهى محض، ولما علم ﷺ وتحقق من ذلك قال:

((**اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**)) لتخليه عن حوله وقوته فى العبادة، وإنما الذى يقيمه ﷺ هو ربه سبحانه.

﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾

أى انه سبحانه لما كتب النوم على ابن آدم، كانت روح النائم وديعة عنده سبحانه إذا نام، وقائم الليل ينتظر إذا ما نام اطلاق تلك الوديعة حتى يتمكن من قيام ليله، فيحدث له الهلع والقلق خوفاً من فوات الوقت، فأعلم سبحانه القائمين بأن وجود مثل هذه النية كفاية لهم، ثم يتولى الحق سبحانه التنفيذ من نحو إيقاظهم من سباتهم ونومهم، فقال: ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾.

أى علم أنكم لن تحصوا وتحصروا وقت الليل لنومكم، ولكون أرواحكم وديعة عندى، فحينئذ أنتم فى حل لرفع القلق عنكم وكفى بنيتكم دليلاً، وكما قيل فى الحديث: ((**نية المرء خير من عمله**)).